

والتقاليد الغربية هزت كيان الأسرة، وهي تقاليد تجتاح العالم، أما التقاليد الإسلامية فالعارفون بها قلة، ونشرها يلقي مقاومة عنيدة، خصوصاً من جهة المتدينين.
من أجل ذلك رأيت لفت النظر إلى أن وظيفة ربة البيت من أشرف الوظائف.
وقد تخرج المرأة من بيتها وراء أعمال مشروعة، بيد أن هذه الأعمال مهما سمت لا يجوز أن تجور على عملها الأول الذي لا يشاركها فيه أحد..!

وافدة النساء:

روى ابن عبد البر في كتابه الاستيعاب، أن أسماء بنت يزيد الأنصارية أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! أنا وافدة من النساء إليك. إن الله عز وجل بعثك إلى الرجال والنساء كافة، فأمننا بك وبإهلك، إنا معشر النساء محصورات مقصورات، قواعد بيوتكم وحاملات أولادكم، وإنكم معشر الرجال فُضلتُم علينا بالجمع، والجماعات، وعبادة المرضى، وشهود الجنائز، والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله!! وإن أحدكم إذا خرج حاجاً أو معتمراً أو مجاهداً، حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا لكم أثوابكم، وربنا لكم أولادكم، أفنشارككم في هذا الأجر والخير؟ فالتفت النبي إلى أصحابه بوجهه كله، ثم قال: (هل سمعتم مسألة امرأة قط أحسن مسألة في دينها من هذا؟).. فقالوا: يا رسول الله، ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا! فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إليها وقال: (افهمي أيتها المرأة وأفهمي من خلفك من النساء، إن حسن تبعل المرأة لزوجها - يعني قيامها بحقه وإحسانها لعشرته - وطلبها مرضاته واتباعها موافقته، يعدل ذلك كله)..!!

ميادينها:

على أن هناك ميادين للأعمال لا بد أن يكثُر فيها النساء، أولها الميدان الطبي، فيجب أن تكون هناك طبيبات ماهرات في كل ناحية من نواحي الطب، والأشعة، والصيدلة، والولادة والتمريض.. ثم ميدان التدريس لجميع المراحل دنيهاً وعليها.
الدين ينشد والصون والاحتشام والحضارة الحديثة تنشد التبرج وتدفع إلى الإغراء.
القول بأن المرأة أخرجت آدم من الجنة تزوير على الإسلام.
ولا يجوز أن يوصد باب من أبواب المعرفة أمام النساء إلى أن يكون لأسباب فنية ومواصفات خاصة.

عندئذٍ ينطبق التخصص على الرجال والنساء جميعاً، فيوجه كل واحد إلى ما يناسب قدرته، وخبرته.

المسافة المؤلمة:

الدين ينشد الصون ويؤثر الاحتشام والحضارة الحديثة تنشد التبرج وتدفع إلى الإغراء .. ومع ضعف اليقين وحب الحياة العجلة أخذ السعار الجنسي يشتد ويفرض رغائبه، حتى فقد الاتصال الحرام دمامته وأمسى كأنه حاجة تلي دون حرج كبير! والدين يرفض أي خلوة بين رجل وامرأة، والحضارة المعاصرة تتجاهل هذا الرفض. وهو يباعد بين أنفاس الرجال والنساء، وهي تقرب بينهم في الأعمال الجادة والهازلة. وكثيراً ما تساءلت: لماذا تكون "للمدير" سكرتيرة خاصة؟ لماذا تشتغل الفتيات بالخدمة في الطائرات، وخدمهن؟ يقضين في الجو أو في الفنادق ليلهن ونهارهن!!

لماذا تعرض المشروبات - في ألواح الإعلانات زهي بين يد امرأة وفمها؟! لماذا؟! لماذا؟! إن النساء يحشرن في أعمال كثيرة لا معنى لها .. وعندما نقرر أحكام الإسلام وتوجيهاته فإن ابتذال المرأة سيمنع للفور، وسيكون عملها في أي موقع مضبوطاً بآداب الشرع وحدوده..

وظائف نصف الوقت:

ذلك، ومن الصعب أن تكون المرأة ربة بيت متقنة، وصاحبة منصب منتجة. إن ذلك قد يقع على ندرة، وأقترح أن تنشأ للنساء وظائف نصف وقت حتى تستطيع الزوجة القيام الحسن على شؤون بيتها وأولادها .. إن القول بأن المرأة هي التي أخرجت آدم من الجنة تزوير على الإسلام، والزعم أنها لا تنزل تقوده إلى النار تزوير كذلك.

والتصور الإسلامي كما أثبتته القرآن الكريم في سورة آل عمران ١٩٥ (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ).

إنني غيور على الأعراض كأشد المتزمتين، ولكن الحفاظ على العرض لا يتم بعقلية السجان.

فالفرق بعيد بين تكوين العقل والضمير بالعلم والتقوى، وبين حبس الأجساد في قفص من حديد. والإسلام قاد المرأة إلى المسجد لتسمع الدرس، وتسجد لربها، وبذلك صقل روحها وفكرها، وفي المسجد كانت ترى الإمام وربما علقت على ملبسه .. وكانت ترى المدرس وربما ناقشت ما يقول.

أما عقلية السجان فأساسها أن المرأة لا ترى ولا ترى، وإذا كان المسجد مظنة ذلك؛ فلا ذهاب إلى المسجد، وهذا هو الإسلام في فلسفة السجان. والحكم هو كتاب الله وسنة رسوله أولاً وأخيراً .. والمشكلة تجيء من طريق فهم البعض للنصوص والآثار..

خط وسط:

بين الإفراط والتفريط خط وسط نريد التعرف عليه والتزامه، وهو خط لا يتطابق مع وضع المرأة الإسلامية في أغلب المجتمعات، وكذلك لا يتطابق مع تقاليد الفرنجة التي تستمد من وثنية الرومان ومن فلسفة الإغريق. إن أفلاطون في مدينته "الفاضلة" يجعل المرأة مشاعاً بين الآخرين، فما تكون إذاً المدينة الدنسة؟

على أن عقلية السجان هي الأخرى لا تقيم أمة راقية الفكر زاكية القلب. وتعاليم الإسلام الصحيحة هي الأمل في بناء عالم متراحم مصون.